

أضواء على أخلاقية الثورة الحسينية...؟ د. عبد الجبار العبيدي-----

شدة كربلاء على مرارتها اليوم تواجه شدة اصعب منها في التنفيذ . أستشهد الحسين (ع) ومن معه بهدى رباني لمقاومة ظلم الظالمين، وقبله ابوه علي أمير المؤمنين لكن شدة العراقيين اليوم التي خلفتها كربلاء والكوفة اكبر من شدته وقت التنفيذ. فقد استشهد الحسين واسدل الستار على حركته في عهد الامويين والعباسيين، ولم تبقَ منها الا المبادئ الحية تتعايش مع المؤمنين . لكن أتباعه اليوم قد أحبوا شدته بواقع مرير اصبح عالية على اهداف الحسين في الوطن والحقوق والتحرير؟ لانهم هم من احفاد من قتل الحسين وابوه في كربلاء والكوفة واليوم يدعون بهما كذبا وزورا مثل كل مزوري التاريخ الذين طمسوا الحقيقة على مر الزمن في شعب لا زال يصدقهم ... والتاريخ بوقائعه المسجلة يكذبهم بنص رصين. وانا واثق لو ان الحسين يعلم انه سيتترك تركة لاحفاد قتلته من الوارثين لتدمير الوطن والوطنيين، لما اقدم عليها اليته ،لانه مع الخير والحق العميم للناس اجمعين لا مع استمرار ظلم الظالمين.. هذا المعنى التاريخي هو الذي يعطي قصة عاشوراء عمقا وقوة ، وفي المعنى قولاً وتطبيقاً ، حين تحولت المبادئ لأول مرة الى تشريعات حقيقية في التاريخ، مضحية بالنفس في سبيل الآخرين. لا ان نبقي نجتزئ الذكريات على مر السنين لنولد ظلما اكبر من ظلم يزيد الامويين ، فلا تغفلوا عقول الناس بغلاف الدين وكما قيل : اذا أردت ان تتحكم في جاهل عليك ان تغلف كل باطل بغلاف الدين . هذه التي مللنا منها وبرفع شعار (يا لثارات الحسين) ولا ندري من من يريدون ان يأخذوها بعد ان مات القتلة ودرست حتى قبورهم،الم تكن تلك أكذوبة يردون بها تفرقة العراقيين لتكون ايران هي الحاضرة دون الآخرين؟، فهو أنتم احفاد من قتله وشعاراتكم وحننكم الكاذب عليه اليوم ، لا يبرر ظلمكم ، لا بل فيه موتكم الاكيد، فقد جاء الحسين واهل البيت العظام من اجل التغيير الحقيقي في التاريخ وليس من اجل الظلم وتدمير المجتمع والدين كما تمارسونه اليوم انتم بالعادات والتقاليد البويهية التي ما حصدنا منها الا الفرقة وضياح الوطن والتدمير.. كل الثوار اهدوا ثمرات ثوارتهم للشعوب كل الشعوب ويقف محمد (ص) على رأسهم ، وماوسيتونج وهوشي منه وجيفارا وكاسترو ، وكان الحسين في مقدمتهم عندما قال وسط اتباعه المخلصين : "والله ما جئت اقاتل يزيد على الخلافة ، بل جئت اقاتل ظلم يزيد على الناس" لكن أتباع الحسين اليوم جعلوها لهم وكأنهم الوارثون ، وهم يعلمون ان الحسين ما كان عراقيا بل عربيا لكل العرب والمسلمين الآخرين ، لكن أمل العيلاميين ظل يراودهم بتدمير الوطن الحبيب الذي اخذ منهم عنوة بعد التحرير الكبير في فتوحات العرب المسلمين الخائنة في التوجه والتنفيذ . من يتابع ملحمة كربلاء بحق وحقيقة لا يدانيه شك بأنه لا يمكن لامة ان تنهض فقط بقوتها البشرية وما تملكه من قوة ومال وقائد ، اذا لم تملك قضية محرقة وقيم معينة تلعب دور الدافع والمثير لقناعة المجتمع بها ، وهنا يكمن سبب فشل العراقيين الحاليين. يقول ماوتسي تونج زعيم الصين : ان الصين ما تقدمت بشعبها الكثر ، بل تقدمت بالقوة المحركة له، القوة التي توجج بين ابنائها احساسا مشتركا لتبني لها قاعدة مجتمعية تساندها في التنفيذ . تنفذ الى العقول والقلوب بشعارات متخنة بالايديولوجيا المميزة بين عصر الماضي والحاضر ، فكانت التوجهات وكانت المنطلقات، وكانت نهضة الحسين تمتلك تلك القوة والمنهجية والمنطلقات الدافعة لتصبح عقيدة لكل المخلصين . اذن لا بد ان تكون لهذه العقيدة شخصيات كريمة تشد الناس اليها ، لذا فقد كانت شخصية الحسين في ذلك الظرف المضطرب وخطوته العظيمة والجريئة نحو استعادة الامة لدورها الرسالي هي الشخصية الكريزمانية المنتظرة للامة ، الا ان الامويين كانوا يواجهون مشكلة لاتعرف لها حلا، ولم تواجهها دولة ملكية من قبل ، وهي حاجتها الى التعايش مع دستور شرعي لا يعترف بشرعيتها ، لذا عدت ظهور الحسين موتاً لها فقاومته حتى النهاية. وهذا ما نفتقده في زماننا اليوم بعد ان خلت ساحتنا من المنظرين. هنا نرى ان القيم والاحاسيس العميقة العظيمة تخترق الاختلافات الثقافية والدينية في العالم الاسلامي كله دون تفريق حتى لم يعد بمقدور احد اليوم وبغض النظر عن معتقداته ان يصد عن هذا التاريخ العظيم، لذا فأعداء الحسين يستمتون الان من اجل ان لا تتحول العقيدة الى تطبيق، لذا وظفت السلفية والفارسية العنصرية كل طاقاتها المادية والمعنوية لتشوية الثورة الحسينية ونظريتها البناءة في التطبيق ، فلو طبقت لأنقلب العالم الاسلامي كله ضدهم وأضاعوا المحاصيل . فوجدوا ضالتهم في النفوس الشيعية الضعيفة التي ترى المال والسلطة افضل من المبادئ والمفاهيم كما نراهم اليوم. واليوم نرى بوادها الان واضحة في أقطار اخرى بعيدة عن العراقيين، ففي مصر اليوم تعقد المؤتمرات الضخمة من اجل ان لا يتمدد الفكر الحسيني الصحيح اليهم بعد ان اصبح خطرا حقيقيا على الاخوان المسلمين ، فهو يملك الفكر والايديولوجيا وهم لا يملكون سوى جعجة المقلدين، لذا فهي تجند كل امكانياتها وطاقاتها لقتل الحركة وروادها قبل ان يعيها الغافلون بها اليوم . بعد ان اصبح حتى العالم المسيحي مقتنع بها، وها هم كتاب المسيحية بدؤا يتحسسون القضية ويكتبون بها ، جورج جرداق مثالا.. وتقف الكاتبة الهولندية المعروفة (ليزي هازلتون في كتابها الموسوم ما بعد النبي على رأسهم) . فقصة الحسين تتشابه مع قصة السيد المسيح

الذي ارادت اليهود قتله فرفعه الله الى السماء لتخليصه من المصير المحتوم، ففيهما من المعاني الانسانية التي يراها اتباع الحسين وتراها المسيحية في الجانب الانساني منهما

متشابهة ومتكاملة دون تفريق، وخاصة في احتكار السلطة والثروة والمعرفة والسلاح. وسيثبت التاريخ ان فكرة المتطرفين من الاتباع اليوم نقلوا النظرية الى عادات وتقاليد مية لم يكونوا سوى أعراب أميين 3 مدفوعين بنظريات العيلاميين الذين لا يحسنون قراءة التاريخ حين عدوا النظرية تقليدا فسادت نظرية ضبابية المبادئ على أيديهم ، وما دروا ان من يخرج عليها فليس له في الحسين من نصيب، يقول غاندي زعيم الهند : لقد تعلمنا من الحسين كيف نكون مظلومين حتى نحقق النصر. ان الكاتبة الهولندية تتسائل اليوم وبكل صراحة ، هل كان لمحمد رسول الاسلام صاحب الامة الواحدة والرب الواحد تصورا انه سيتترك خلفه هذا الانقسام المأساوي والدموي الرهيب بين المهاجرين والانصار وبلا نهاية؟ ونحن نقول : لا ، أن عقداً وعهداً وميثاقاً قد كتب لهم لا يجوز التجاوز عليه هو عهد المؤاخاة بين المهاجرين والانصار، وكان رسول الله (ص) شهيدا عليهم واول شروط الشاهد ان يكون حاضرا ؟ هذا سؤال يجب ان نجيب عليه قبل ان ندعي الخلافات بين اتباع محمد الامين(ص)، وهل العقد الذي تم في المدينة فيه من نقص أو تغليب؟، فتغلبت روح القبيلة على روح المؤاخاة فحل التدمير حين قالوا منا أمير ومنكم أمير؟ فزادوا اليوم في محاصصة المحاصصين ايضاً، وكان المسلمين قبائل لا أمة واحدة من سنين . فهل يعلمون ان الحسين كان الراية الكبرى للموحدين . لو كانت النظرية الحسينية مطبقة اليوم بحق وحقيقة ،لما شاهدنا الاقتتال بعد تدمير المرقدين الشريفين في سامراء، لان مرآة أهل البيت هي للجميع التابعين وسدنتها منهما وليست للمفرد من الاخرين ،لكنها كانت من صنع القاصدين . فأخرجوها لنا بمخرج من فلم هندي دون ان يعرضوا لنا المتهمين ، اذن من عملها ؟ الفاعلون يعلمون باليقين ، وهم الفاعلون...؟. اذا امعنت النظر في أخلاقية النظرية الحسينية مليا ترى ان اصحابها يعيشون قصة تجمع المضادات:الولاء ضد الخيانة ، والحب ضد الكراهية ، والنبل ضد الفساد ، والاخلاق ضد السياسة ، وهل نحن نتعايش معها الان ؟ وهل من حق احد ان يعفي شيعيا من الاعوجاج وسرقة المال العام وتدمير المفاهيم لانه شيعي ؟ كما يحصل اليوم بأسدال الستار على خونة الشيعة والسنة في دولة العراقيين ، وهل من حق احد من أهل السنة والجماعة ان يناصر العداة لعاشوراء ومبادئ الحسين لانه سني؟ كما هم يتبرأون ، وهم يعلمون ان لا خلاف ولا اختلاف بين السنة والشيعة وهي أصلا بدعة أبتدعها الفقهاء من وعاظ السلاطين خدمة للملوك.